

يوميات يوسف
قطعة من الجبس
ينابيع

يَوْمِيَّاتُ يُوسُفَ

قِطْعَةٌ مِنَ الجِبْسِ

تأليف: **زكريا القاضي**

رسوم: **محمـــد نبيـــل**

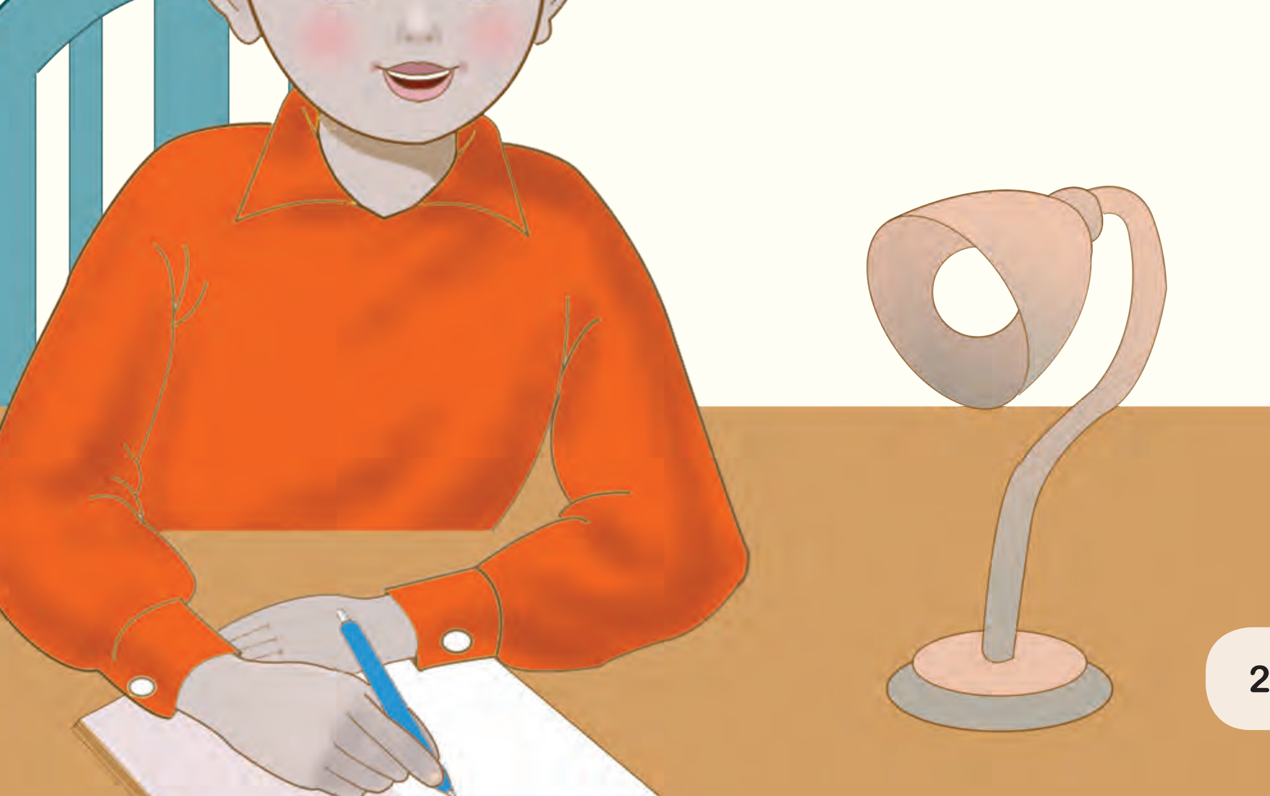
مراجعة لغوية: **قسم اللغة بالدار**

جرافيك وإشراف فني: **سـمر قنـاوي**

القاضي، زكريا
قطعة من الجبس/ تأليف زكريا القاضي
الجيزة: شركة ينابيع للنشر والتوزيع
ص؛ سم.- (يوميات يوسف)
تدمك 1-377-498-977-978
-1 القصص العربية
أ- العنوان: 11 شارع الطوبجي - الدقي - الجيزة
رقم الإيداع 2018/16800

الخَمِيسُ - 24/مَارِس/2011م

لَوْ أَسْعَدَنِي الحَظُّ.. وَزَارَنِي أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِي.. فَإِنَّهُ بِالتَّأْكِيدِ سَيُلاحِظُ وُجُودَ قِطْعَةِ جِبْسٍ مُعَلَّقَةٍ فِي حُجْرَتِي.. وَعَلَيْهَا بَعْضُ الكَلِـمَاتِ وَالرُّسُومِ.. لِـمَاذَا أُعَلِّقُهَا؟ وَلِـمَاذَا دَوَّنْتُ قِصَّتَهَا فِي يَوْمِيَّاتِي؟ هَذَا مَا سَتَعْرِفُونَهُ فِي السُّطُورِ القَادِمَةِ:



لا تَنْدَهِشُوا.. فَالقِصَّةُ تَبْدَأُ بِيَوْمٍ لا أَتَمَنَّى أَنْ يَتَكَرَّرَ.. كُنَّا فِي الفُسْحَةِ.. نَأْكُلُ وَنَتَحَدَّثُ وَنَمْرَحُ مَعَ بَعْضِنَا.. فَجْأَةً، قُلْتُ لأُسَامَةَ: (لا أَدْرِي كَيْفَ أَتَصَرَّفُ فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ؟) نَظَرَ أُسَامَةُ إِلَيَّ مُنْدَهِشًا، ثُمَّ قَالَ: (خَيْرًا.. مَا هَذِهِ الْوَرْطَةُ؟!)

قُلْتُ لَهُ: (لَـمْ أَسْتَطِعْ حَلَّ الـمَسْأَلَةِ الأَخِيرَةِ فِي وَاجِبِ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَأَخْشَى أَنْ يَطْلُبَ مِنِّي الأُسْتَاذُ رِضَا حَلَّهَا أَمَامَ الفَصْلِ).صَمَتَ أُسَامَةُ بُرْهَةً، كَأَنَّهُ يُفَكِّرُ فِيمَا سَيَقُولُهُ، ثُمَّ قَالَ: (أَنَا أَيْضًا لَـمْ أَسْتَطِعْ حَلَّهَا!! وَقَدْ لا يَطْلُبُ الـْمُعَلِّمُ ذَلِكَ مِنْكَ). أَجَبْتُ: (أَنَا لا أُحِبُّ الإِحْرَاجَ.. وَمِنَ الـمُحْتَمَلِ أَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ).



بَعْدَ حِوَارِنَا هَذَا.. أَكْمَلْنَا لَعِبَنَا مَعَ بَقِيَّةِ الأَصْدِقَاءِ، رَغْمَ ذَلِكَ ظَلَّ ذِهْنِي مَشْغُولًا بِمَا سَيَحْدُثُ فِي الحِصَّةِ الأَخِيرَةِ، حِصَّةِ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَمَشْغُولًا بِالْـمَسْأَلَةِ الأَخِيرَةِ.. انْتَهَتِ الفُسْحَةُ.. وَعُدْنَا إِلَى الفَصْلِ.. يَمْلَؤُنِي التَّرَقُّبُ وَالقَلَقُ.



جَاءَ الـمِيعَادُ الـمَحْتُومُ.. الحِصَّةُ الأَخِيرَةُ بَدَأَتْ.. بِمُجَرَّدِ أَنْ رَأَيْتُ الأُسْتَاذَ رِضَا يَدْخُلُ إِلَى الفَصْلِ بَدَأَ قَلْبِي يَنْبُضُ بِسُرْعَةٍ، وَبَدَأْتُ أَتَصَبَّبُ عَرَقًا.. شَرَحَ الْـمُعَلِّمُ الدَّرْسَ الجَدِيدَ.. تَنَاقَشَ الزُّمَلاءُ مَعَهُ..

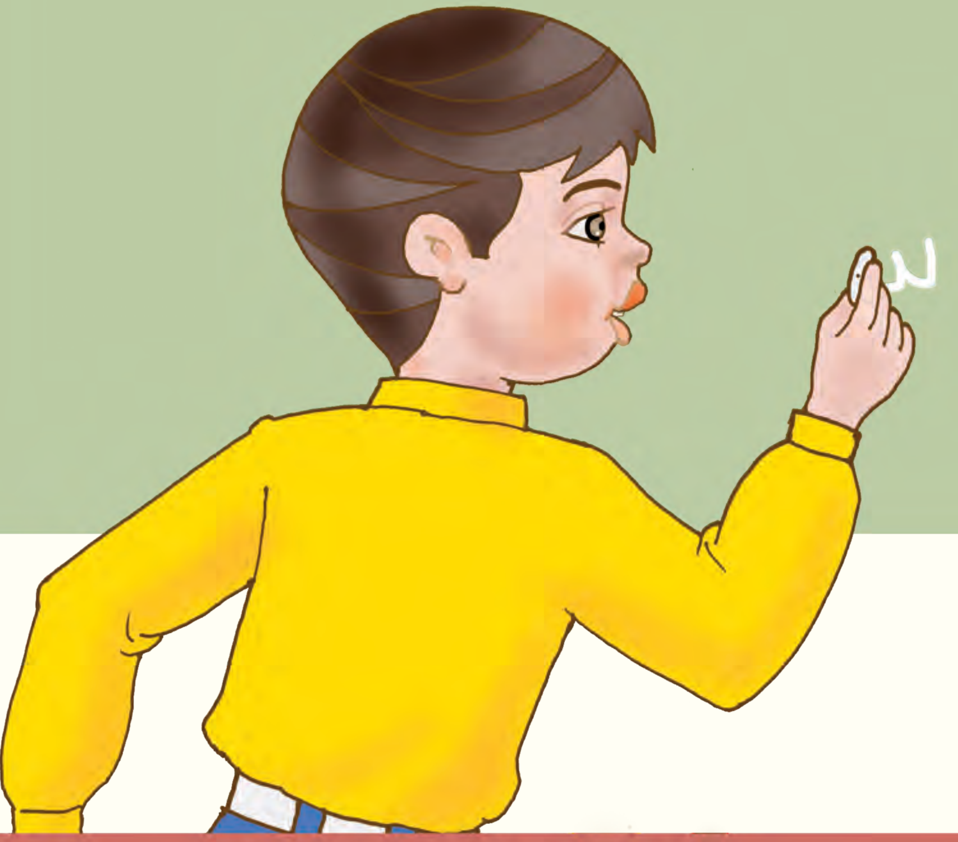


لَـمْ أَنْطِـقْ بِكَلِمَةٍ.. بَـدَأَ يُتَابِـعُ الوَاجِبَ.. مَرَّتِ الدَّقَائِقُ بَطِيئَةٌ لِلْـغَايَـةِ، كَـانَ الوَقْـتُ لا يَمُـرُّ.

قُلْتُ لِنَفْسِي:(الْحَمْدُ للهِ..)؛ إِذْ فِي الْـمَسْأَلَةِ الأَخِيرَةِ قَالَ الْـمُعَلِّمُ:(أَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْـمَسْأَلَةَ صَعْبَةٌ.. وَلَنْ أَتَخَيَّرَ أَحَدًا مِنْكُمْ لِحَلِّهَا.. وَلَكِنَّ الأَمْرَ مَتْرُوكٌ لِـمَنْ يَرْغَبُ.. وَمَنْ يَتَمَكَّنُ مِنْ حَلِّهَا الصَّحِيحِ سَأَجْعَلُ الفَصْلَ كُلَّهُ يُصَفِّقُ لَهُ). وَيَا لَيْتَ الْـمُعَلِّمُ لَـمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ.. لَيْسَ لأَنَّ الفَصْلَ لَنْ يُصَفِّقَ لِي.. وَلَكِنْ لِسَبَبٍ آخَرَ.



لَقَدْ حَدَثَ مَا لَـمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُهُ.. رَفَعَ أُسَامَةُ يَدَهُ، فَأَذِنَ لَهُ الْـمُعَلِّمُ مُشَجِّعًا، فَتَوَجَّهَ إِلَى السَّبُّورَةِ.. وَبِثِقَةٍ وَاضِحَةٍ رَاحَ يَحُلُّ الـمَسْأَلَةَ، وَعُيُونُ الجَمِيعُ تُتَابِعُهُ.. لَـمْ أَفِقْ مِنْ ذُهُولِي إِلَّا وَالْـمُعَلِّمُ يَقُولُ: (صَفِّقُوا جَمِيعًا.. أَحْسَنْتَ يَا أُسَامَةُ.. مَنْ لَـمْ يَحُلَّ الـمَسْأَلَةَ فِي الوَاجِبِ يَنْقِلْهَا مِنْ عَلَى السَّبُّورَةِ فِي كُرَّاسَتِهِ).



صَفَّقْتُ لأُسَامَةَ طَاعَةً لِلْمُعَلِّمِ فَحَسْبُ.. تَلاقَتْ عَيْنَانَا وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى مِقْعَدِهِ فِي نَظْرَةِ عِتَابٍ طَوِيلَةٍ مِنِّي.. وَفِي نَظْرَةِ خَجَلٍ مِنْهُ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْعَلَهَا طَوِيلَةً كَنَظْرَتِي.. إِذْ سُرْعَانَ مَا أَخْفَضَ عَيْنَيْهِ.. وَجَلَسَ فِي مِقْعَدِهِ بَعْدِي بِقَلِيلٍ.. انْتَهَتِ الحِصَّةُ.. وَغَادَرْنَا الفَصْلَ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى السَّيَّارَةِ لِلْعَوْدَةِ.



فِي سَيَّارَةِ الـمَدْرَسَةِ كَانَ مِقْعَدُهُ أَمَامَ مِقْعَدِي.. اسْتَدَارَ أُسَامَةُ لِيُحَادِثَنِي.. إِلَّا أَنَّنِي قُلْتُ لَهُ: (لَقَدْ أَسَأْتَ إِلَيَّ بِشِدَّةٍ.. كَذَبْتَ عَلَيَّ أَوَّلًا.. وَكُنْتَ أَنَانِيًّا سَيِّءَ الظَّنِّ حِينَ اعْتَقَدْتَ أَنَّنِي سَأَسْرِقُ مَجْهُودَكَ إِذَا شَرَحْتَ لِي حَلَّ الـمَسْأَلَةِ).



قَاطَعَنِي خَجِلًا: (يُوسُفُ، لَقَدْ تَغَلَّبْتَ عَلَيَّ). فَصِحْتُ بِهِ دُونَ أَنْ يُكْمِلَ: (لَقَدْ تَغَلَّبَ سُوءُ تَصَرُّفِكَ عَلَى صَدَاقَتِنَا الَّتِي كُنْتُ أَعْتَزُّ بِهَا). وَصَمَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ أَكْمَلْتُ: (أُسَامَةُ، لا حَدِيثَ بَيْنَنَا بَعْدَ اليَوْمِ). وَاسْتَدَرْتُ بِوَجْهِي نَاظِرًا إِلَى النَّافِذَةِ.. وَمُفْعَمًا بِالغَضَبِ وَالضِّيقِ.





تَوَقَّفَتِ السَّيَّارَةُ أَمَامَ مَنْزِلِي.. نَزَلْتُ مِنْهَا صَامِتًا دُونَ أَنْ أُوَدِّعَ أَحَدًا.. عَيْنَاي مَـمْلُوْتَانِ بِالدُّمُوعِ.. يَعْصِفُ بِي الحُزْنُ وَالغَضَبُ.. تَحَرَّكَتِ السَّيَّارَةُ مُبْتَعِدَةً فِي طَرِيقِهَا.. انْدَفَعْتُ كَالسَّهْمِ نَحْوَ البَيْتِ.. مُرْتَقِيًا دَرَجَاتِ السُّلَّمِ الخَارِجِيِّ الأَرْبَعَ.

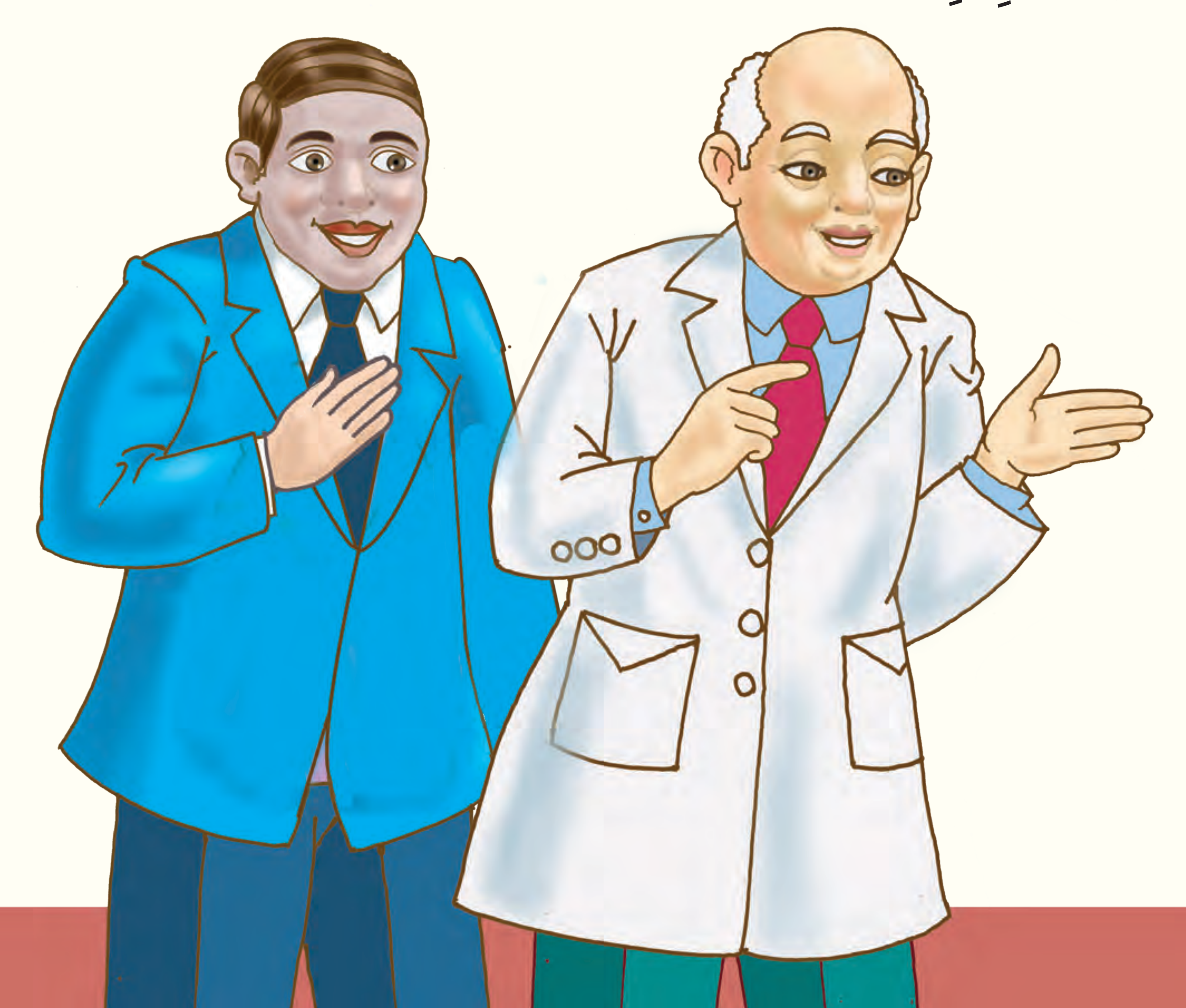
وَلأَنَّهُمْ يَقُولُونَ دَائِمًا: (العَيْنَانِ الدَّامِعَتَانِ لا تُبْصِرُ الطَّرِيقَ جَيِّدًا).. عِنْدَ الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ الأَخِيرَةِ.. انْزَلَقَتْ قَدَمِي.. الْتَوَى كَاحِلِي.. اخْتَلَّ تَوَازُنِي.. سَقَطْتُ لِلْوَرَاءِ عَلَى الدَّرَجَاتِ الثَّلاثِ الَّتِي صَعِدْتُهَا.. صَرَخْتُ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً مِنَ الأَلَـمِ.. آاااااه.. سَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ.



أَفَقْتُ لأَجِدَ نَفْسِي مُمَدَّدًا عَلَى السَّرِيرِ.. فِي حُجْرَتِي.. وَبِجِوَارِي أَبِي وَأُمِّي وَأُخْتِي.. وَجَارُنَا الدُّكْتُورُ عَادِلٌ الَّذِي فَحَصَ قَدَمِي، وَقَالَ:



(الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.. لا بُدَّ أَنْ تُوضَعَ قَدَمُ يُوسُفَ فِي الجِبْسِ، سَأَسْتَدْعِي مِنَ الـمُسْتَشْفَى مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ فِي البَيْتِ دُونَ أَنْ نَضْطَرَّ لِلذِّهَابِ إِلَى الـمُسْتَشْفَى).



فِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي.. أَبْلَغَ وَالِدِي إِدَارَةَ الـمَدْرَسَةِ بِمَا حَدَثَ.. وَكَالْعَادَةِ، بَثَّتْ إِذَاعَةُ الـمَدْرَسَةِ الخَبَرَ فِي طَابُورِ الصَّبَاحِ. فِي الـمَسَاءِ، اتَّصَلَ بِي كُلُّ زُمَلائِي عَقِبَ عَوْدَتِهِمْ مِنَ الـمَدْرَسَةِ.. تَـمَنَّوا لِي السَّلامَةَ وَالشِّفَاءَ.. كُلُّهُمْ.. إِلَّا أُسَامَةَ!!





حَاوَلَتْ أُمِّي أَنْ تَعْرِفَ سَبَبَ مَا حَدَثَ لِي.. لَكِنَّنِي لَمْ أَرْغَبْ أَنْ أُخْبِرَهَا بِمَا حَدَثَ بَيْنِي وَبَيْنَ أُسَامَةَ.. ذَهَبْتُ إِلَى غُرْفَتِي لأَسْتَرِيحَ قَلِيلًا. فِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.. حَوَالِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.. رَنَّ جَرَسُ البَابِ.. فَتَحَتْ أُمِّي البَابَ..

كَانُوا ثَلاثَةً: أَحَدُهُمْ فِي مِثْلِ سِنِّي وَالآخَرَانِ يَبْدُو أَنَّهُمَا وَالِدَاهُ.



دَخَلَتْ أُخْتِي إِلَى غُرْفَتِي، وَقَالَتْ لِي: (يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْكَ.. وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَحَدُ أَصْدِقَائِكَ مَعَ وَالِدِهِ وَوَالِدَتِهِ). نَهَضْتُ.. وَاسْتَنَدْتُ إِلَى عُكَّازِي مُتَوَجِّهًا نَحْوَ غُرْفَةِ الجُلُوسِ.. كَانَتْ مُفَاجَأَةً مُذْهِلَةً.. لَقَدْ حَضَرَ أُسَامَةُ، يُرَافِقُهُ وَالِدُهُ وَوَالِدَتُهُ!!



كَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَيْءٍ أَتَوَقَّعُ حُدُوثَهُ.. سَمِعْتُهُ يَقُولُ لأُمِّي: (كُلُّ مَا حَدَثَ أَنَّنِي أَخْبَرْتُ....). أَدْرَكْتُ مِنْ فَوْرِي أَنَّهُ سَيُخْبِرُ أُمِّي بِالقِصَّةِ الَّتِي لا أَرْغَبُ فِي أَنْ تَعْرِفَهَا.. صِحْتُ مُقَاطِعًا لَهُ: (أَهْلًا.. أَهْلًا يَا أُسَامَةُ.. لَقَدِ افْتَقَدْتُكَ اليَوْمَ كَثِيرًا!!) نَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنَينِ دَاهِشَتَينِ، مُغْرَوْرَقَتَينِ بِالدُّمُوعِ!!



انْدَفَعَ إِلَيَّ مُعَانِقًا هَامِسًا فِي أُذُنِي: (كَمْ أُحِبُّكَ يَا يُوسُفُ.. أَنْقَذْتَنِي مِنَ الإِحْرَاجِ أَمَامَ وَالِدَتِكَ، وَكَانَ يُمْكِنُكَ أَلَّا تَفْعَلَ.. وَلَمْ أُنْقِذْكَ أَنَا مِنَ الإِحْرَاجِ أَمَامَ مُدَرِّسِ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَكَانَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ.. لَقَدْ كُنْتُ أَنَانِيًّا..

وَظَلَلْتَ أَنْتَ وَفِيًّا رَائِعًا، يُوسُفُ.)



قَاطَعْتُهُ مُبْتَسِمًا: (هَلْ لَكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي الجُلُوسِ؟!) جَلَسْتُ، وَجَلَسَ بِجِوَارِي، أَرَادَ أَنْ يُكْمِلَ حَدِيثَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: (أُسَامَةُ.. لَقَدْ سَامَحْتُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي.. لَقَدْ عَادَ كُلُّ الحَدِيثِ بَيْنَنَا، وَكُلُّ مَا يَرْبِطُنَا بَعْدَ الآنَ.. سَتَظَلُّ دَائِمًا مِنْ أَعَزِّ أَصْدِقَائِي).



قَالَتْ أُمِّي بَاسِمَةً: (لَقَدْ أَدْرَكْتُ الآنَ سَبَبَ مَا حَدَثَ لِيُوسُفَ.. أَنْتَ وَلَدٌ رَائِعٌ يَا أُسَامَةُ). نَظَرَ أُسَامَةُ إِلَى وَالِدَتِي نَظَرَةَ امْتِنَانٍ، ثُمَّ عَانَقَنِي مُجَدَّدًا.. بَيْنَمَا قَالَتْ لَهَا أُمُّ أُسَامَةَ: (لَمْ يُخْبِرْكِ يُوسُفُ لأَنَّهُ يُحِبُّ صَدِيقَهُ.. إِنَّنِي أَحْسُدُ أُسَامَةَ عَلَى صَدِيقٍ لَهُ مِثْلِ يُوسُفَ..

حَفِظَكُمَا اللهُ دَائِمًا).



فِي نِهَايَةِ الزِّيَارَةِ، طَلَبَ أُسَامَةُ مَا أَسْعَدَنِي لِلْغَايَةِ.. قَالَ أُسَامَةُ: (أَتَمَنَّى لَكَ سُرْعَةَ الشِّفَاءِ، وَبَعْدَهَا يَحْتَفِظُ كُلٌّ مِنَّا بِقِطْعَةٍ مِنَ الجِبْسِ، حَتَّى لا نَنْسَى ذَلِكَ اليَوْمَ). قُلْتُ مَسْرُورًا: (لَكَ ذَلِكَ)، وَرَسَمَ كُلٌّ مِنَّا فِي مَكَانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنَ الجِبْسِ قَلْبَيْنِ فِيهِمَا حَرْفَا: (أ) وَ (ي).. هَلْ عَرَفْتُمْ الآنَ سِرَّ قِطْعَةِ الجِبْسِ الـمُعَلَّقَةِ عَلَى جِدَارٍ فِي حُجْرَتِي؟!

